تَفْسِيرُ (الميزان) في المِيزانِ

حسين الزيادي

القسم الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم، والصلاة على رسوله المبعوث لكآفة الامم، وعلى اله اهل العصمة والكرم.

ان تفسير الميزان للسيد الطباطبائيقدس سره وقع بين محب غال ومبغض قال؛ بحيث جعله الاول اعلى من ان تدركه عقول العلماء فضلاً عن غيرهم؛ وفوق النقد والنقاش والملاحظه؛ وقد فرّط في هذا.

والثاني اخرج صاحبه عن ربقة الايمان –والعياذ بالله –ناعتاً إياه بالبتري تارة والمخالف تارة اخرى وبين ذين وذين تتقلقل النعوت والاوصاف الجارحة والمخالفة للواقع؛ وقد افرط في ذلك.

فنقول للطائفة الاولى: انّ ما التزم به السيد العلامة الطباطبائي في منهجه التفسيري رغم انه منهج صحيح وسديد واثبت جدارته في موقعه فقط لا انّه منهج مهيمن على باقي المناهج التفسيرية الاخرى.

وعليه –كما يقول شيخنا الاستاذ محمد السند –فكون منهج تفسير القرآن بالقرآن صحيحاً وسديداً وكفوء شيء، وكونه المهيمن على المناهج التفسيرية الاخرى شيء اخر، مع غض النظر عن المغالطة الموجودة في عنوان منهج تفسير القرآن بالقرآن وان العنوان غير دقيق، وانه لا يطابق المنهج الذي يريده الطباطبائي او غيره من الاعلام؛ وليس هنا مجال لبيان هذه المغالطة.

فجدارته في معرفة لا تجعله مهيمنا في غير موقعه على سائر المناهج التفسيرية الاخرى.

ولذا جملة من تلامذة السيد العلاّمة الطباطبائي قدس سره حكّموا وجعلوا منهج تفسير القرآن بالقرآن هو المهيمن على باقي المناهج التفسيرية الاخرى في الفقه وغيره، فخرجت لديهم نتائج وقناعات شاذة وخطيرة وغريبة وبعيدة عن مسلّمات مدرسة اهل البيت عليهم السلام الفقهية[1].

وعليه فلا يوجد كتاب سوى كتاب الله عز وجل فوق النقد البّناء والذي تعلّمناه من نفس السيد الطباطبائي الذي مارس عملية الفقد والبحث آخذاً بوصية النبي والائمة الهداة المهديين عليهم السلام وهي: (... عن ابي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل يقول تذاكر العلم بين عبادي مما تحيي عليه القلوب الميتة إذا هم انتهوا فيه الى أمري). الكافي ج١، ب٩، ح٦.

وعندما نكون بصدد نقل التأويل لا لأجل جحود وانكار جهود العلاّمة والعياذ بالله إلاّ انه وبحمد الله تعالى فان طبيعة مدرسة أُهل البيت عليهم السلام ليست سد باب الاجتهاد وإنما نحن المخطئة وفي هذه المدرسة يفسح المجال للفكر الحرّ الموزون حرصا على تطوير عملية التكامل العلمي؛ ولا يوجد خطوط حمراء في هذا المجال.

ونقول لأصحاب الطائفة الثانية: ان اختياركم لمنهج القرآن والعترة –وهو المنهج الصحيح بطبيعة الحال –ولكن هذا لا يعني بالضرورة تهميش واقصاء المناهج الأخرى وتضييع جهود وعلماء عملاقة اتعبوا انفسهم الشريفة في ذلك رضي الله عنهم والعياذ بالله أمثال

(١) تفسير امومة الولاية والمحكمات ج٢ ص ١٧٦، محمد السند.

العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره صاحب الجهد العظيم الذي يعجز القلم واللسان عن تثمينه ومواجهته العظيمة للفكر الشيوعي والنازي والفكر الغربي، وتربيته لجيل من تلامذته الجهابذة (حفظهم الله تعالى).

ولا يجوز اطلاق التهم جزافا من دون الوقوف ملياً على كلمات ونكات هذا الرجل العظيم.

وليعلم الجميع أنَّ الأحاطة بظاهر القرآن بتمامه ليس بمقدور البشر إلا باعانة من اصطفاهم الله تعالى وهم المُعلِّم الأوَّل بعد الله تعالى، النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ومن واقع المسؤولية الشرعية وبعد أن رأينا في الفترة الأخيرة إما الجمود على ما ذكره السيد الطباطبائي أو عدم الاهتمام والهجوم على ما ذكره قدس سره.

انبرينا لكتابة هذه الدراسة التي تخط المنهج القويم -بعونه تعالى -للنقد والنقاش الحر المبتني على اسس علمية رصينة من دون التعصب الى طائفة ما، وإنما التركيز فقط على الدليلية مستعرضين اهم الاشكالات والاعتراضات على تفسير الميزان ووضعها في ميزان العدل والانصاف دون الجور والظلم والاعتساف، مبتعدين قدر الامكان عن السفه والاسراف، محررين محل النزاع والخلاف؛ من اجل الوصول الى الوحدة والائتلاف؛ راجين القبول والاستخلاف.

١. تجويز التفكر في ذات الله عز وجل:

قال قدس سره: وفي النهي عن التفكر في الله سبحانه روايات كثيرة أُخر مودعة في جوامع الفريقين، والنهي ارشادي متعلق بمن لا يحسن الورود في المسائل العقلية العميقة فيكون خوفه فيها تعرضاً للهلاك الدائم[٢].

نلاحظ هنا انّ السيد الطباطبائي قدس سره يستخدم فقاهته في التعامل مع الروايات الناهية عن التفكر في الله تعالى الامر الذي يغفل عنه الكثير بسبب اشتهاره قدس سره في الجانب التفسيري

(٢) تفسير الميزان ج ١٩ ص٥٣.

والفلسفي الامر الذي جعل البعض يتناسى الجانب الفقهي والاصولي عند الطباطبائي وهذا الأمر يحتاج الى دراسة مفصلة ليس هنا محلها.

ففي النص المتقدم نجده يستعمل المصطلح الأصولي (النهي الارشادي) بحرفنة ودقة عالية تدل على تضلعه بعلم الأصول وقبل ابداء نظرنا المتواضع في موافقة أو مخالفة ما ذكره قدس سره لابدّ لنا من بيان هذا المصطلح حتى يتسنى للقارئ اللبيب معرفة هذا الأمر الدقيق.

لا يخفى على المتخصص أنّ علماء الأصول انقسموا الى أربعة طوائف في بياناتهم لموضوعـة (النهي) وقد أكثروا من النقض والإبرام في اختيار أحد المباني؛ والخوض في هذا المجال يخرجنا عن المقصود، ونقتصر فقط على بيان النهي الإرشادي باختصار شديد جداً.

النهي الإرشادي: المعروف أنّ الأصل في النواهي أن تكون مولوية وهي المعبِّرة عن طلب الترك أو الكّف أو الزجر والتبعيد عن متعلّق النهي الا أنّه قد نخرج عن هذا الأصل بسبب أكتناف الكلام بقرينه تدلّ على أنّ النهي الوارد إنما هو ارشادي.

ويتّضح المراد من النهي الإرشادي بمراجعة ما ذكره الأعلام في الأمر الإرشادي[٣].

ويقابل النهي الإرشادي النهي التحريمي، وهو النهي المولوي الذي يكون مفاده الحرمة والمنع الإلزامي عن ارتكاب متعلّق النهي، وذلك في مقابل النهي المولوي الكراهتي الذي يكون مفاده الحكم بكراهة متعلّق النهي، وفي مقابل النهي الإرشادي والذي يرشد لمانعية متعلّقه مثلاً، كما انّهُ في مقابل النهي التنزيهي الذي يكون تعبيراً عن وجود منقصة وحزازة في متعلّقه، فيكون متعلّق النهي بذلك مكروهاً.

ثمّ إنَّ النهي التحريمي قد يكون نفسياً من جهة أنّ متعلّق النهي مطلوب بذاته على المكلف لا أنّ المطلوب هو ما يترتب على متعلّق النهي ويكون تحصيل متعلّق النهي وسيلة لتحقق آثاره المطلوبة ذاتاً.

كما يكون نفسياً من جهة الملاك بمعنى أنَّ ملاك النهي عن المتعلّق ناشئ عن مفسدة في ذات المتعلّق لا أنّه ناشئ عن مفسدة في آثار المتعلّق.

(٣) راجع المعجم الأصولي ج٢ ص٥٦٥، الشيخ محمد صنقور.

ومثاله: قوله تعالى ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ فإنَّ متعلّق النهي وهو ترك الشرك مطلوب ذاتاً، كما أنَّ ملاك النهي عن الشرك هو المفسدة العظيمة الناشئة عن نفس الشرك بالله العظيم.

القسم الثاني: أن يكون نفسياً من الجهة الأولى إلاّ أنه غيري من الجهة الثانية ومثاله ((لا تكذب)) فإنَّ متعلّق النهي وهو ترك الكذب مطلوب بذاته إلاّ أنَّ الملاك ناشئ عن آثار الكذب لا على نفس الكذب كما هو واضح.

القسم الثالث: أن يكون غيريّاً من الجهتين، ومثاله: النهي عن الضدّ الواجب اذا كان مزاحماً لواجب أهمّ، بناءً على اقتضاء وجوب الشيء للنهي عن ضدّه الخاصّ، وحينئذ يكون ترك الضد المهم ليس مطلوباً بذاته وما هو مطلوب بذاته إنما هو امتثال الواجب الأهم، نعم يترشح عن مطلوبية امتثال الواجب الأهم نهي عن الواجب المهم المضاد للأهم، وبهذا يكون النهي غيرياً، هذا من الجهة الأولى.

وإما الجهة الثانية فلأنّ الواجب المهمّ المنهي عنه بسبب المزاحمة ليس ذا مفسدة في نفسه، إذ إنّ المفسدة الذاتية كامنة في فوات الواجب الأهم إلاّ أنه وباعتبار انَّ منشأ فوات الواجب الأهم هو الإتيان بالواجب المهم المضاد صار الواجب المهم ذا مفسدة باعتباره سبباً في ترتب ما فيه مفسدة ذاتاً[٤].

إن قلت: يكفي بيان النهي الارشادي الذي ذكره السيد الطباطبائي قدس سره فما هو هو الداعي لبيان النهي التحريمي؟.

قلت: أولاً لكشف النقاب عن دقة المصطلحات التي يستخدمها الأعلام في كلماتهم وخصوصاً السيد الطباطبائي قدس سره في تفسير الميزان.

وثانياً: لأننا نذهب وخلافا للسيد الطباطبائي وجملة من الأعلام أنّ النهي هو نهي تحريمي لا إرشادي كما سيتضح إن شاء الله تعالى.

وثالثاً: إنّ الذي يخوض في عالم التفسير لابّد له من إتقان كثير من العلوم ومنها علم

(٤) نفس المصدر، بتصرف يسير.

الأصول والفقه حتى يستطيع أن يستخدم الكلمات المناسبة لبيان المطالب.

وبعد هذه المقدمة نرجع الى تحليل وتدقيق ما ذكره السيدقدس سره في ذيل تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [سورة النجم: ٤٢]؛ حيث قال: ((ومما تقدم يظهر ضعف ما قيل في تفسير الآية أن المراد بذلك رجوع الخلق اليه سبحانه يوم القيامة، وكذا ما قيل: ان المعنى أن الى ثواب ربك وعقابه آخر الأمر، وكذا ما قيل المعنى ان الى حساب ربك منتهاهم، وكذا ما قيل: اليه سبحانه تنتهي الأفكار وتقف دونه، ففي جميع هذه التفاسير تقييّد الآية من غير مقيد))[٥]؛ وذلك لأنهقدس سره يعتبر النهي عن التفكر في الله عز وجل ارشادياً كما في تعليقه على رواية الدر المنثور أخرج أبو الشيخ عن ابي ذر قال: ((قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا))[٦].

ولبيان السبب الذي جعل السيد الطباطبائيقدس سره يذهب الى النهي الارشادي دون المولوي؛ لأنَّ مقتضى وضوح تعلّق الملاك للنهي بأنَّ التفكر دون تخصص يوقع في محاذير هو الكاشف عن كون الخطاب ارشادي.

وبنظري القاصر أنّ التقسيمات التي ذكرها المشهور للأوامر الإرشادية ليست دقيّة بل بيانية فقط وإنما المائز الحقيقي أنّ الخطاب الإرشادي يوضح الملاك وأن العقاب فيه هو الأثر نظير كشف العورة في موضوع آدم وتحقق استدامة العلة في أكل اللبن الحامض وهكذا فتأمل.

والذي ذكره السيد الطباطبائيقدس سره صحيح على المشهور، لأن الإرشادية إما أن تكون إرشاداً لحكم عقلي أو إرشاداً لحكم شرعي وهنا هي إرشاد لحكم العقل الذي لا سبيل له في تجاوز حده والتفكر في الله سبحانه خارج حد العقل، فلا طريق له الى ذلك، وبالتالي فالرويات هي إرشاد لذلك.

(٥) الميزان ج ١٩، ص٤٨.

(٦) اقول: المقيد موجود كما سيتضح ذلك.

فما ذكره قدس سره من الإرشادية بناءاً على المشهور[٧] نقبله ولكنا لا نقبل تقييده بمن لا يحسن الورود في المسائل العقلية العميقة؛ بل المسألة مطلقة من هذه الناحية.

(٧) افادني سيدنا الاستاذ علي السبزواري (حفظه الله) بقوله: لا بأس بالقول بالإرشاد وهو الظاهر منها لأنها لم تنف التفكر ولا يمكن إزالته عن الانسان وإنما على الشرع تحديده وتهذيبه فيكون إرشادياً والله العالم. وقد احتمل الشيخ فاضل الصفار (حفظه الله) النهي بمعنييه الإرشادي والمولوي؛ حيث أجابني بقوله: ممكن أن يكون بكلا معنييه بحسب المتفكر، فمن كان يضل يحرم عليه. وذهب الى القول بالإرشادية السيد المدرسي (حفظه الله) حيث ذكر لي: بأن النهي هو نهي إرشادي؛ لأن التفكر غايته إثارة العقول وتسليط العقل على كل معقول ومعلوم (الفكرة تورث نوراً) ولابد لخالق العقل أن تكون سلطنته لا تقهر بسلطنة مخلوقه. فالعقل مخلوق الله وهو الذي يخلق شيئاً يقهر السلطان القاهر. فلو قال به قائل لزم به ان يكون الخالق تغيّر عن ما كان عليه فقد كان قبل خلق العقل سلطاناً لا يقهر فلمّا خلق الخلق تغيّر إلى متسلطٍ مقهور بالعقل الذي خلقه وهذا لا يجوز على الرب.

وأما الشيخ علي الكوراني (حفظه الله) فكان جوابه: نهي إرشادي وشرعي... عقلي ومولوي.. معاً لأنا عاجزون عن معرفة ذاته عز وجل..

أقول: لا أُريد الدخول في نقاش هذه الأجوبة لأنّ بعضها لا يخلو من التهافت والمقام لا يسمح بذلك.

وقد ذكر السيد محمد باقر السيستاني (حفظه الله) في عدم إحاطة الإنسان بكنه الخالق: أن الله تعالى أجلّ من أن تُدرك تفاصيل ذاته ومن أن يوصف كما توصف الكائنات وخصوصياتها، وهذا أمر واضح بعد أن لم يكن وجوداً مادّياً. فإنّ الإنسان لا يستطيع إدراك كيفية ذاته سبحانه وخصائصها؛ لعدم امتلاكه أدوات ذلك؛ ومن ثَمّ يكون التفكير والتنظير في ذلك لغواً.

وقد قامت بعض اتجاهات التصوف والعرفان النظري وبعض الاتجاهات الفلسفية بمحاولات تنظيرّية في ذلك. وهي اشبه بالأوهام.

وعليه: فإن من الخطأ الكبير الاستدلال على كيفية صفاته الكمالية -كعلمه -بصفات خلقه، فهو كما ورد في الآية الكريمة من سورة الشورى الآية (١١): ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وليس لذاته شبه بالموجودات في كيفية صفاتها.

وقد فصّل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في (نهج البلاغة) في عدد من خطبه قضية مباينة شؤون الله مع شؤون خلقه، كما وردت أحاديث مستفيضة في كتب الحديث عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في النهي عن التفكير في ذات الله تبارك وتعالى. حقيقة الدين ص٤٧.

ولكن لم يتضح لي من كلامه (حفظه الله) أنّ هذا النهي من أي قسم؛ وهل هو محمول على المولوية أو الإرشادية؟.

هذا إن قبلنا بوجود الإرشادية واما لو لم نقبل كما هو الصحيح عندنا فانه لا معنى للإرشادية لأن الأوامر كلها محركة وباعثة للمكلف وما ينبعث منها فذلك موكول الى المكلف، فقد ينبعث بالأوامر ولو لم تكن تكليفية، بل قد تكون بمستوى النصيحة وبعض المكلفين لا ينبعث إلا للأوامر التكليفية الملزمة وهكذا.

لأننا نعتقد أن العقل لا يشكل باعثاً قوياً للمكلف نحو الأمتثال ما لم ينضم اليه الشارع، فلولا هذا الضم لا يتحرك المكلف إلا النادر، والتكاليف عامة لكل المكلفين لا النادر منهم.

وأما ما قيل بأنه إرشاد الى حكم وضعي فهذا فيه كلام له محل آخر.

وعلى كل لا معنى للإرشادية هنا بعد كون المسألة من السالبة بانتقاء الموضوع إذ لا موضوع للإرشاد عن حكم عقلي أو شرعي، وإن التفكر في ذات الله ممنوع شرعاً.

ويلاحظ عليه أيضاً: -هذا الكلام مخالف للايآت الشريفة والروايات المتواترة، أمّا الآيات فمثل قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾[سورة طه: ١١٠]، وقوله عزّ وجل ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾بضميمة ما ورد فيها عنهم عليهم السلام[٨].

وأما الروايات، فكثيرة جداً كما يظهر بمراجعة كتاب التوحيد للشيخ الصدوق قدس سره وبحار الانوار -لا سيما المجلد الثالث والرابع منه -وغيرها[٩].

ولا بأس بذكر بعض الروايات في ذلك:

١. فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق أن يعرفه من الخالق حق معرفته غير أنه

(٨) [سورة الانعام: ١٠٣]. فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾أنه قال: إحاطة الوهم، ألا ترى الى قوله: ﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ليس يعني بصر العيون، ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ﴾ليس يعني من البصر بعينه، ﴿ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ لم يعن عمى العيون، إنما عنى إحاطة الوهم كما يقال: فلان بصير بالشعر، وفلان بصير بالفقه، وفلان بصير بالدراهم، وفلان بصير بالثياب، الله اعظم من أن يرى بالعين.

(٩) المنهج الصحيح في التفسير ص ٢٨، عبد النبي مهدي.

موجود فقط.... فممتنع علم كنهه وكمال المعرفة به[١٠].

٢. إياكم والتفكّر في الله، فإن التفكر في الله لا يزيد إلاّ تيهاً[١١].

٣. أعجز الأوهام أن تنال إلاّ وجوده، حجب العقول أن تتخيّل ذاتهُ[١٢].

٤. ممتنع عن الأوهام أن تكتنهه، وعن الأفهام أن تستغرقه، وعن الأذهان أن تمثّله، قد يأست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول[١٣].

٥. ولا إيّاه وحّد من اكتنهه[١٤].

٦. الذي سألت الأنبياء عنه فلم تصفه بحدّ ولا ببعض، بل وصفته بأفعاله ودلّت عليه بايآته[١٥].

٧. وارتفع عن أن تحوي كنه عظمته فهّاهة رويّات المتفكرين... قد ضلّت في إدراك كنهه هواجس الأحلام، لأنه أجلّ من أن تحدّه ألباب البشر بالتفكير[١٦].

٨. الممتنع... من الأوهام الإحاطة به[١٧].

٩. لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم أنه لا يدركه[١٨].

١٠. وفي مناجاة العارفين ليوم الثلاثاء:... لـــم تجعل للخلق طريقـاً الى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك[١٩].

وقال الشيخ البهائي: فلا تلتفت الى من يزعم أنه قد وصل الى كنه الحقيقة المقدسة...

(١٠) بحار الانوار ٣/ ١٤٨.
(١١) بحار الانوار ٣/ ١٥٩.
(١٢) بحار الانوار ٤/ ٢٢١.
(١٣) بحار الانوار ٤/ ٢٢٢.
(١٤) بحار الانوار ٤/ ٢٢٨.
(١٥) بحار الانوار ٤/ ٢٦٥.
(١٦) بحار الانوار ٤/ ٢٧٥.
(١٧) بحار الانوار ٤/ ٢٨٤.
(١٨) بحار الانوار ٧٥/ ١٤١.
(١٩) بحار الانوار ٩١/ ١٥٠.

فإن الأمــر أرفع وأطهر من أن يتلّوث بخواطر البشر[٢٠].

١١. ومن خطبة[٢١] لأمير المؤمنين عليه السلام: قوله عليه السلام: ((واعلم ان الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة....)) فليس الرسوخ في العلم هو الاقتحام والتعمق في كل شيء فإنه إذا كان الكلام في معرفة الله تعالى فإنّ الرسوخ في العلم يكون بالكّف عن التكلف والكّف عن التكلم في ذاته فإنّ التكلّم والنظر في ذاته لا يزيد ناظره الاّ تيهاً، حيث إنّ الله تعالى لا يُعرَف بجور الاعتساف والتكلّف وإنما يُعرف الله تعالى به وليس الله عَرَفَ من عَرَفَ بالتشبيه ذاته، فالتفكر في ذاته والتعمق في كمالاته تنزيل له عن مقام القدس والسبوحيّة.

فلابدّ لمن أراد أن يعرف ربّه أن يعرفه به تعالى، والطريق إلى تلك المعرفة هو أن يضع الإنسان نفسه في مهبّ تيّار الرحمة الإلهية فيصلي له ويقنت قنوت الخاشعين ويتوجه إليه تعالى بأوليائه الذين من عرفهم عرف الله ومن جهلهم جهل الله تعالى.

قوله عليه السلام: ((فلا تقدّر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين)) فإنه لا طريق للعقل في معرفة الرب إلاّ بنحو الإقرار بالغيب.

قوله عليه السلام: ((وحاول الفكر المبّرأ من خطر الوسواس أن يقع عليه من عميقات غيوب ملكوته)) إبطال لما عن البعض من كون النهي الوارد في الأخبار عن التفكّر في ذاته تعالى إنما متوجه للعقول الناقصة لاعقول الكمّلين فالإمام عليه السلام يشير الى انّ جميع العقول وجميع الأفكار والأوهام عاجزة عن الوصول الى معرفة ذاته تعالى لأنه سبوح قدّوس ومعنى سبوحيتّه هو تعاليه عن العقول مهما كانت ثاقبة وقوّية.

ومن الواضح أنّ ذلك ليس تنقيصاً في شأن العقل فإنّ العقل له شأنه في معرفة الله تعالى وهو معرفة الرب المتعال بالمعرفة الغيبية أعني أنّ الأنسان العاقل إذا نظر بنور عقله إلى الكائنات وما يجري حوله لعَلِمَ أنّ له صانعاً قادراً حكيماً هو قيّومها وهي قائمة به وإذا

(٢٠) الاربعين ص١٤.

(٢١) بحار الانوار ٥٤/ ١٠٦.

تعمّق في ذات المخلوق وجد ضعفه وعجزه وافتقاره إلى الغير، فلابّد له من الإقرار بصانع لها متعالٍ عن صفاتها سبّوح عمّا يجري عليها، فالعقل يكشف –إذن– أنّ ثمة صانعاً صنع الخلق وهو لا يشبه الخلق في شيء، وهذا هو المعبّر عنه في لسان الأحاديث بـ ((حدّ التعطيل وحدّ التشبيه))[٢٢] وهو كما ترى ليس معرفة بكنّهه عزّ وجل.

قوله عليه السلام: ((فرجعت إذ جبهت معرّفة بأنه لاينال بجور الاعتساف كنه معرفته)) وهذا من كمال كشف العقل فإنّهُ يكشف لنا أنّ الله تعالى لا يُعرَف بالعقول فإنّ العقل يكشف المخلوقات وهو عاجز عن كشف الخالق، فاعتراف واجد العقل بالعجز عن معرفته تعالى من كمال عقله كما إنّ كشف العقل لتلك الحقيقة كمال في حدّ ذاته. فإنّ من العلم إنك تعلم بأنّ الإحاطة بحقيقة ذاته تعالى مستحيل.

قوله عليه السلام: ((أرانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار حكمته واعتراف الحاجة)) حيث إنه هو الذي خلق الخليقة وهو الذي وهب للأنسان نور العقل الذي يستطيع أن ينظر به إلى الآيات ويعرف بأن لها خالقاً مدبّراً فإنه تعالى ((هو الدال بالدليل عليه والمؤدي بالمعرفة إليه))[٢٣].

قوله عليه السلام: ((فأشهد أنّ مَنْ شبّهك بتباين أعضاء خلقك)) فإنّ العمدة في معرفة الله تعالى هو إخراجه عن جهة التشبيه فالمشبِّه لله تعالى بخلقه بكونه تعالى ذا يد كأيدي الخلائق وذا عين كعيونهم وذا أُذن كآذانهم أو بأنّه يمكن تصوّره وتعقلّه ونيله بالعقول أو إنّه تطوّر وتجلّى بصورة المخلوق، لم يعقد قلبه على معرفة الحق المتعال. فإنّ الله تعالى منزّه عن جميع هذه الصفات.

قوله عليه السلام: ((ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم)) إذ العقل يعترف بالعجز عن الإحاطة بالربّ المتعالي فمن نحله حلية المخلوقين إنما فعل ذلك بوهمه الباطل[٢٤].

(٢٢) الكافي ١/ ٨٢.
(٢٣) بحار الانوار ٤/ ٢٥٣.
(٢٤) الإمام علي عليه السلام خليفة الله ص٥٠. السيد علي الرضوي.

التفكّر في الله تعالى كفر وزندقة:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٩١].

أقول: الآية المباركة تمدح الذين يتفكّرون في خلق السموات والأرض لا في خالقهما، فتأمل جيداً.

ومما يكشفه العقل أيضاً هو عدم إمكان الإحاطة بالله تعالى بالفكر ذلك أنه تعالى منزّه عن صفة من يمكن أن يحاط بالتفكير.

روى العلّامة المجلسي عن تحف العقول عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام إلى أن قال: ولا تدركه العلماء بألبابها ولا أهل التفكير بتفكيرهم إلا بالتحقيق إيقاناً بالغيب، لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين؛ الخبر. تحف العقول: ٢٤٤؛ بحار الانوار: ٤/ ٣٠١ ح ٢٩.

والمستفاد من هذا الخبر الشريف أنّ الوجه في عدم إمكان الإحاطة به هو علّوه عن صفة المخلوق.

روى الصدوق عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام الى أن قال: ارتفع عن أن تحتوي كنه عظمته فهاهة روّيات المتفكرين؛ الخطبة. التوحيد للصدوق: ٥ ح١٣؛ بحار الانوار: ٤/ ٢٧٥ ح١٦.

وروى العلّامة المجلسي عن البلد الأمين عن أمير المؤمنين عليه السلام الى أن قال: محرّم على بوارع ثاقبات الفطن تحديده، وعلى عوامق ثاقبات الفكر تكييفه؛ الخبر. البلد الأمين: ٩٢؛ بحار الانوار: ٨٧/ ١٣٨ ح٧.

روى الصدوق عن أبي المعتمر مسلم بن أوس عن أمير المؤمنين عليه السلام الى أن قال: لا تحيطه الافكار؛ الخبر. التوحيد للصدوق: ١/ ٧٩ ح ٣٤؛ بحار الانوار ٤/ ٢٩٤ ح٢٢.

روى السيد ابن طاووس عن عبد الله بن جعفر عن أمير المؤمنين عليه السلام الى ان قال: فلا يبلغك بُعد الهمم، ولا ينالك غوص الفكر؛ الخبر مهج الدعوات: ١/ ١٠٧؛ بحار الانوار:

٩٢/ ٢٤٣ ح٣١.

روى الكليني عن محمد بن يحيى عن أبي عبد الله عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام الى أن قال: حار في ملكوته عميقات مذاهب التفكير؛ الكافي: ١/ ١٣٤ ح ١؛ بحار الانوار: ٤/ ٢٦٩ ح ١٥.

روى السيد ابن الطاووس عن عبد الله بن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام الى أن قال: حار في ملكوته عميقات مذاهب التفكير؛ فتواضعت الملوك لهيبتك، وعنت الوجوه بذلّ الاستكانة لك، وانقاد كل شيء لعظمتك، واستسلم كل شيء لقدرتك، وخضعت لك الرقاب، وكلَّ دون ذلك تحبير اللغات، وضلّ هنالك التدبير في تصاريف الصفات. فمن تفكّر في ذلك، رجع طرفه إليه حسيراً، وعقله مبهوراً، وتفكّره متحيّراً؛ الخبر. مهج الدعوات: ١/ ١٠٨؛ بحار الانوار: ٩٢/ ٢٤٣ ح٣١.

هذا، وقد وردت أخبار كثيرة في إرشاد العباد الى هذه الحقيقة وأنّ الطريق الى معرفة الله تعالى ليس هو التعقّل أو التوهم أو التفكير في ذاته القدّوس، وليست هذه الممنوعية مختصة بفئة دون فئة أو مخلوق دون مخلوق بل الممنوعية ممنوعية ذاتية وهي بمعنى عدم إمكان الوصول الى المعرفة به تعالى بالعقل والوهم والفكر مطلقاً ولذا لا يكون التفكّر به إلا إلحاداً وزندقة وكفراً.

روى العلامة المجلسي عن محمد بن هارون التلعكبري عن الإمام الصادق عليه السلام الى أن قال: انقطعت عنه أفكار المتفكرين، وعلا وتكبّر عن صفات الملحدين؛ الخبر مهج الدعوات: ١/ ١٧٩؛ بحار الانوار: ٨٣/ ٣١٤ ح ٦٧.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: من تفكّر في ذات الله ألحد. عيون الحكم: ٤٤٩ ح ٧٩٧٦؛ غرر الحكم: ٨٢ ح ١٢٨٤.

وعنه عليه السلام من تفكّر في عظمة الله أبلس. غرر الحكم: ٨٢ ح ١٢٨٦.

وعنه عليه السلام من تفكّر في عظمة الله تزندق. عيون الحكم: ٤٥٦ ح ٨٢٥٥؛ غرر الحكم: ٨٢ ح ١٢٨٥.

روى الصدوق عن أبي الجارود عن الامام أبي جعفر عليه السلام قال: دعوا التفكر في الله، فإنّ التفكّر في الله لا يزيد إلا تيهاً، لأنّ الله لا تدركه الأبصار ولا تبلغه الأخبار. التوحد للصدوق: ١/ ٤٥٧ ح ١٣؛ وسائل الشيعة ١٦/ ١٩٩ ح ٢١٣٤٠ -١٧.

روى ايضاً عن فضيل بن عثمان عن الإمام ابي عبد الله عليه السلام قال: دخل عليه قوم من هولاء الذين يتكلمون في الربوبية، فقال: إتقوا الله وعظّموا الله ولا تقولوا ما لا نقول، فإنكم إن قلتم وقلنا، متّم ومتنا، ثم بعثكم الله وبعثنا، فكنتم حيث شاء الله وكنّا. التوحيد للصدوق: ١/ ٤٥٧ ح ١٥؛ وسائل الشيعة: ١٦/ ١٩٩ ح ٢١٣٤١ -١٨.

روى الكليني عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: إياكم والتفكر في الله، ولكن اذا إردتم أن تنظروا الى عظمته، فانظروا الى عظيم خلقه. الكافي: ١/ ٩٣ ح٧؛ الوافي: ١/ ٣٧٤ ح٩.

هذا الخبر الشريف -وكذا الخبر التالي -يشير الى أنّ الوصول إلى معرفة الله تعالى ليس بالتفكّر في ذاته بل هو بالنظر الدقيق الى عظِيم الخلقة. روى العلّامة المجلسي عن ابن عباس قال: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن في المسجد، حلق حلق، فقال لنا، فيم أنتم؟.

قلنا: نتفكر في الشمس كيف طلعت، وكيف غربت.

قال: أحسنتم، كونوا هكذا تفكّروا في المخلوق ولا تفكّروا في الخالق، فإنّ الله خلق ما شاء لما شاء، وتعجبون من ذلك إنّ من وراء قاف سبع بحار كل بحر خمسمائة عام، ومن وراء ذلك سبع أرضين يُضيء نورها لأهلها، ومن وراء ذلك سبعين ألف أمة خُلِقوا على أمثال الطير هو وفرخه في الهواء، لا يفترون عن تسبيحةٍ واحدة، ومن وراء ذلك سبعين ألف أمة خُلقوا من ريح، فطعامهم ريح وشرابهم ريح وثيابهم من ريح وآنيتهم من ريح ودوابّهم من ريح، لا تستقر حوافر دوابهم إلى الأَرض إلى قيام الساعة، أعينهم في صدورهم، ينام أحدهم نومة واحدة ينتبه ورزقه عند رأسه، ومن وراء ذلك ظلّ العرش، وفي ظلّ العرش سبعون ألف أمّة ما يعلمون أنّ الله خلق آدم ولا ولد آدم ولا إبليس ولا ولد إبليس وهو قوله تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[سورة النحل: ٨]. بحار الأنوار: ٥٤/ ٣٤٨ ح٤٤.

النهي عن التكلّم في ذات الله تعالى

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [سورة النجم: ٤٢].

قد منع القرآن وحملته عليهم السلام عن التكلّم في ذات الله تعالى والوجه في ذلك هو امتناع الوصول إليه تعالى عبر التكلّم فيه.

روى الكليني عن محمد بن مسلم عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: أن الله عز وجل يقول: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ فإذا انتهى الكلام الى الله فامسكوا. الكافي: ١/ ٩٢ ح ٢؛ بحار الانوار: ٣/ ٢٦٤ ح ٢٢٠.

روى الصدوق عن علي بن حسان الواسطي عن بعض أصحابنا عن زرارة قال: قلت للإمام أبي جعفر عليه السلام: إنّ الناس قبلنا قد أكثروا في الصفة، فما تقول؟. قال: مكروه. أما تسمع الله يقول: (وأنّ إلى ربك المنتهى) تكلّموا فيما دون ذلك. التوحيد للصدوق: ١/ ٤٥٨ ح ١٨؛ وسائل الشيعة: ١٦/ ٢٠٠ ح ٤٣، ٢١٣ – ٢٠.

أقول: من الواضح أنّه ليس المراد من الكراهية في الخبر مايقابل الأستحباب بل المراد منه المبغوضية وأنّه خلاف العقل.

روى الكليني عن أبي بصير قال: قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: تكلّموا في خلق الله ولا تتكلموا في الله، فإنّ الكلام في الله لايزداد صاحبه إلا تحيّراً. الكافي: ١/ ٩٢ ح ١؛ وسائل الشيعة: ١٦/ ١٩٦ ح ٢١٣٣٠ –٧.

روى أيضاً في رواية أخرى عن حريز عن الإمام الصادق عليه السلام: تكلّموا في كل شئ، ولا تتكلموا في ذات الله. الكافي: ١/ ٩٢ ح١؛ وسائل الشيعة: ١٦/ ١٩٦ ح٢١٣٣١ –٨.

روى العلّامة المجلسي عن أبن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج على أصحابه فقال: ما جمعكم؟. فقالوا: اجتمعنا نذكر ربنا ونتفكر في عظمته. فقال: لتتركوا التفكر في عظمته، ألا أخبركم ببعض عظمة ربكم؟.

قيل: بلى يا رسول الله.

قال: انّ ملكاً من حملة العرش يقال له إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله،

قدماه في الأرض السابعة السفلى ورأسه في السماء السابعة العليا، في مثله من خليقة ربّكم تبارك وتعالى. بحار الأنوار: ٥٥/ ٢٠ ح٣٠.

روى الصدوق عن ضُريس الكناسي قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: إياكم والكلام في الله، تكلّموا في عظمته ولا تكلّموا فيه، فإنّ الكلام في الله لا يزداد إلاّ تيهاً. التوحيد للصدوق: ٤٥٧؛ وسائل الشيعة: ١٦/ ١٩٩ ح٢١٣٤٢ -١٩٠.

أقول: الظاهر أنه لاتعارض بين الخبرين الماضيين ذلك أنّ الأول يشير إلى التكلّم في عظمته تعالى وقدسه ولكنّ الثاني يشير إلى التكلّم في عظمته في قبال التكلم في ذاته، ولذا يكون المراد من التكلم في عظمته التكلّم في عظيم خلقه أو التكلّم حول سبوحيته وعظمته عن إحاطة الأفكار به.

وبعبارة أخرى: إنّ المراد من النهي عن التكلّم في عظمته في الخبر الأول هو النهي عن التكلّم في ذاته القدوس لعظمها عن التكلّم والتفكير والتعقل. وأما الخبر الثاني فلما كان التكلم في العظمة في قبال التكلّم في الذات، يُعرف أنّ المراد منه هو التكلّم في عظيم خلقه.

روى الكليني عن محمد بن مسلم قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: يامحمد إنّ الناس لايزال بهم المنطق حتى يتكلّموا في الله، فإذا سمعتم ذلك، فقولوا لا إله إلا الله الواحد الذي ليس كمثله شئ.

الكافي: ١/ ٩٢ ح٣ وسائل الشيعة: ١٦ -١٩٤ ح٢١٣٢٥ -٢.

الظاهر من الخبر أنّ التوحيد ينافي التكلّم في ذاته القدوس لاستلزامه التشبيه كما عرفت.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ [سورة الانعام: ٦٨].

روى العلامة المجلّسي عن العياشي عن ربعي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ قال: الكلام في الله والجدال في القرآن، فأعرض عنهم؛ الخبر. تفسير العياشي: ١/ ٣٦٢ ح٣١؛ بحار الانوار: ٣/ ٢٦٠ ح٧.

أقول: لعلّ المراد من ((آياتنا)) في الآية المباركة -على حسب هذه الرواية -كمالاته التي

هي عين ذاته، فإنّ الكمالات تكون آيات تدلّ عليه، ولذا فسّر الإمام عليه السلام الخوض في الآيات بالتكلّم عن الله تعالى، والله تعالى العالم[٢٥].

قد اتضح عندنا من خلال الأخبار المتّظافرة عدة وجوه في عدم إمكان تعقّله تعالى وتوّهمه والتفكر فيه مطلقاً لا كما قيدّه السيد الطباطبائي قدس سره بغير الكمّل.

ومن هذه الوجوه:

الوجه الأول: في عدم لمسه بالحوّاس والمشاعر هو افتراقه من خلقه.

الوجه الثاني: فالبعد عن أن يكون في قوى المحدودين هو السبب في عدم خطور خاطرة من تقدير جلال عزّته ببال أولي الروّيات.

الوجه الثالث: أنّ الأئمة عليهم السلام بيّنوا بأنّ توصيف الربّ تعالى متوقف على قياسه بالخلائق وبما أنّه تعالى ليس كمثله شيء فلا يمكن توصيفه.

الوجه الرابع: صريح الأخبار يدّل على أنّ احتجاب العقول عن تخيّل الذات هو لأجل امتناع ذاته القدوس من الشبه والتشاكل.

الوجه الخامس: لّما كان تعالى مبايناً لجميع ما أحدث صفة يكون ممتنعاً عن الإدراك بما ابتدعه من الذوات المتصرّفة.

الوجه السادس: هو عجز الحوّاس عن دركه والأوهام عن نيله والخطرات عن تحديده والأبصار عن الإحاطة به؛ وأنه لّما كان تعالى مرتفعاً عن صفات الخليقة، يكون من المستحيل نيله بجميع الإدراكات؛ وأنه تعالى جبار قدوس أزلي؛ وأنه لايوصفُ بصفات الخليقة فكيف يوصف بالكيف، والكيف مخلوق؟!. وعّلو الجبار تعالى أوجب عدم إمكان وصفه؛ وجلاله وعزته عن صفة الواصفين هو السبب في عدم إمكان دركه تعالى.

الوجه السابع: الغياب عن درك الأبصار –الحواس والأوهام والعقول –أوجب عدم إمكان الإشارة إليه؛ وأنّ وقوع الشيء تحت البلاغ يوجب إمكان تعقّله ومن كان كذلك لا يكون رباً قدوساً عظيماً؛ كما عن الإمام الحسين عليه السلام: ((ليس بربّ من طرح تحت البلاغ))

(٢٥) معرفة الله، ص ١٢٥ –١٣١، الشيخ محمد باقر علم الهدى.

تحف العقول: ٢٤٤.

الوجه الثامن: في عدم إمكان تقدير كنه عظمته هو أنه تعالى وحداني صمداني وليس له في الأشياء عديل؛ وبما أنه تعالى متعال عن صفة المخلوق فلا يمكن أن تقع عليه توصيفات الخلائق ولذا لايمكن تعقله والإحاطه به؛ وأنه لما كان مكيِّفاً للكيف فلا يمكن وصفه به وكذا الأين ومن الواضح أنّ البشر إذا رام توصيف ربه تعالى لا يصفه إلا بالكيف والأين؛ والأخبار صريحة في أنّ العقل لا يستطيع إدراك إلّا ما كان بصفة المخلوق والله تعالى أعلى وأجل من الخليقة وصفاتهم. والمتحصّل من جميع ذلك هو أنّ عدم إمكان دركه تعالى بجميع الإدراكات إنما هو لأجل علّوه عن صفة الخلائق وأنه قدوس سبوح فإذا لم يمكن إدراكه تعالى بالعقول والأوهام فكيف يمكن إدراكه بالمعقولات والموهومات البشرية فإنّ العقل الذي يدّعيه البشر ليس إلاّ فعلية النفس باستخراج النظريات من الضروريات وهذا ليس إلا ظلمات بعضها فوق بعض فادّعاء دركه بالمعقولات بل الموهومات هو الضلال المبين الذي بعث لأجل هدمه الأنبياءعليهم السلام.

وبما أنّ حيطة كشف العقل لاتشمل الرب المتعال ولايمكن الإحاطة عليه بالعقول (لتعاليه وعلوّه عن المعقولية والمكشوفية)، فقد وردت الآيات والأخبار في النهي عن التفكر فيه تعالى وأنه يوجب الكفر والزندقة لأن طريق معرفته ليس هو التفكر في ذاته، فمن رام الوصول إلى معرفة الله تعالى بالتفكّر فيه فسوف يعرف غير الله ويظن أنّه هو الله تعالى.

وقد فهم المشهور من الأخبار الكثيرة أنها مرشدة إلى حكم العقل الحاكم بأن الخالق المتعالي لايمكن أن يقع في مهبّ تيار الإدركات، لبينونته التامة عما يمكن أن يقع معقولاً وموصوفاً. ومن هنا رأى الأعلام أن الأخبار تشير إلى أن العباد لم يكلفوا المعرفة لأنها ليست في وسعهم كما في خبر عن

الإمام الصادقعليه السلام: ((لم يكلّف الله العباد المعرفة، ولم يجعل لهم إليها سبيلاً)) المحاسن: ١/ ١٩٨.

وليس هنا محل التفصيل وإلا فالموضوع واسع ومعقد جداً ونحن محكومون بعدة

صفحات فقط[٢٦].

ونختم البحث حول هذه النقطة بما ذكره بعض الأعلام المعاصرين، حيث قال: ((لايمكن للانسان الإحاطة العلمية بذات البارئ وصفاته كما أخبر (سبحانه) وتعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[سورة طه: ١١٠].

٢. وعليه فالباحث في العلوم العقيلة الكلامية لاينبغي بل لايجوز له الغور في المباحث الراجعة إلى معرفة ذات الله وصفاته بزعم تمكّنه من الإحاطة العلميه بذاته المقدسة وصفاته، العليا وساحته المنزهة عن تناول العقول والأفكار، والغور في ذلك بالتفكر والبحث لايزيد الباحث المتفكر إلاّ تحيراً وغموضة ومن هنا وردت عن الأئمة المعصومين روايات صحيحة معتبرة متظافرة دلّت على المنع من التفكر والبحث والتكلّم في ذات الله وكنه صفاته.

من هذه النصوص صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إياكم والتفكر في الله ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمة الله فانظروا إلى عظم خلقه)[٢٧].

صحيحة زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إنّ ملكاً عظيم الشأن كان في مجلس له فتكلّم في الرب تبارك وتعالى ففقد فما يدرى أين هو[٢٨].

صحيحة ضريس الكناسي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام (إياكم والكلام في الله) تكلّموا في عظمته ولاتكلّموا فيه فإنّ الكلام في الله لايزداد إلّا تيهاً)[٢٩]. ومنها: مارواه الصدوق في الأمالي والتوحيد عن أبي اليسع عن سليمان بن خالد، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ((إياكم والتفكر في الله، فإنّ التفكر في الله لايزيد إلاّ تيهاً، إنّ الله عزّ وجلّ لاتدركه الأبصار ولايوصف بالمقدار))[٣٠] وروى نظيره في كتاب التوحيد بسنده عن أبي اليسع عن أبي

(٢٦) للتوسع مراجعة كتاب معرفة الله، لعلم الهدى، تقرير السيد علي الرضوي.
(٢٧) كتاب التوحيد: ص٤٥٨ ح ٢٠.
(٢٨) المصدر: ح ١٩.
(٢٩) المصدر: ص ٤٥٧، ح ١٧.
(٣٠) الأمالي: ص ٥٠٣/ كتاب التوحيد ص ٤٥٧ ح١٤.

الجارود[٣١].

هذه الرواية بطريقيها ضعيفة. ومنها: صحيحة جميل عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إذا انتهى الكلام الى الله فامسكوا وتكلّموا فيما دون العرش ولاتكلّموا فيما فوق العرش، فانّ قوماً تكلّموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم حتى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه وينادى من خلفه فيجيب من بين يديه)[٣٢].

وقال العلاّمة المجلسي في شرحها:

((التكلّم فيما فوق العرش كناية عن التفكر في كنه ذاته وصفاته تعالى. فالمراد إمّا الفوقية المعنوية؛ أو بناءً على زعمهم حيث قالوا: بالجسم والصورة؛ ويحتمّل -على بعد -أن يكون المراد التفكر في الخلا البحث بعد أنتهاء الأبعاد))[٣٣].

ونظيرها معتبرة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال:[٣٤] (تكلموا فيما دون العرش، ولا تكلّموا فيما فوق العرش، فإنّ قوماً تكلّموا في الله فتاهوا، حتى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه)[٣٥].

لا إشكال في سندها، إلاّ الحسن الصيقل، وهو الحسن بن زياد الصيقل الكوفي، حيث لم يرد فيه توثيق، ولكنّه كثير الرواية ومشاهير الرواة وروى عنه بعض أصحاب الإجماع، فلو كان فيه قدح لبان وذكر، ولكن لم يرد فيه أيّ قدح ولا ذم.

وقد دلّ على هذا المعنى ماسبق من النصوص الناهية عن التعدي عن القرآن في توصيف الله وتوحيده ومنها: صحيحة أبي بصير قال: (قال أبو جعفر عليه السلام: تكلّموا في خلق الله ولا تكلموا في الله فإنّ الكلام في الله لايزيد إلاّ تحيرّاً)[٣٦]. ومنها: صحيحة الحلبي عن

(٣١) كتاب التوحيد: ص ٤٥٧ ح ١٣.
(٣٢) بحار الأنوار: ج ٣، ص ٢٥٩ ح٤.
(٣٣) بحار الأنوار: ج٣ ص٢٥٩ -٢٦٠، ح٦.
(٣٤) بحار الأنوار: ج٣ ص٢٦٠.
(٣٥) بحار الأنوار: ج٣ ص٢٦٥، ح٢٦.
(٣٦) التوحيد: ص ٤٥٤، ح١.

أبي جعفر عليه السلام قال: (تكلّموا في كل شيءٍ ولا تكلموا في الله)[٣٧].

ومنها: صحيحة ضريس الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((اذكروا من عظمة الله ما شئتم ولا تذكروا ذاته فإنكم لاتذكرون منه شيئاً إلاّ وهو أعظم منه)) [٣٨].

ومنها: مارواه الصدوق عن أبيه عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الرحمان بن الحجاج، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام: (في قول الله وأنّ إلى ربك المنتهى، قال إذا انتهى الكلام إلى الله عزّ وجلّ فامسكوا)[٣٩].

هذه الرواية صحيحة.

ومنها: صحيحة محمد بن مسلم قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام يا محمد إنّ الناس لايزال بهم المنطق حتى يتكلّموا في الله فإذا سمعتم ذلك فقولوا لا إله إلا الله الواحد الذي ليس كمثله شيء)[٤٠].

هذه النصوص تعارض بظاهرها ماورد من النصوص الكثيرة الباحثة عن صفات البارئ وتوحيده بألسنة وتعابير وتقارير مختلفة.

ويمكن الجمع بينهما بأنّ النصوص الباحثة إنّما تبحث عن إثبات أصل وجود البارئ وإثبات التوحيد ونفي الشرك وتنزيهه عن صفات الجلال السلبية.

وأما النصوص الناهية، فالمقصود من النهي الوارد فيها إنما هو النهي عن التفكر والغور في كنه ذاته لغير الأغراض والجهات المزبورة، كما يظهر هذا الجمع من بيان العلّامة المجلسي.

وقال الشيخ الأنصاري في توجيه هذه النصوص وما شابهها: ((لكن الظاهر من بعض تلك الأخبار: أنّ الوجه في النهي عن الأخير عدم الإطمئنان بمهارة الشخص المنهي في المجادلة، فيصير مُفحماً عند المخالفين. ويوجب ذلك وهن المطالب الحقة في نظر أهل

(٣٧) التوحيد: ص٤٥٤، ح٢.
(٣٨) التوحيد: ص٤٥٤ ح٣.
(٣٩) التوحيد: ص٤٥٤ ح٩.
(٤٠) التوحيد: ص٤٥٤، ح١٠.

الخلاف))[41].

وقد وردت في قبال هذه الطائفة نصوص دلّت على الترغيب إلى التفكّر في الله.

منها: ماورواه ابن إدريس في مستطرفاته بقوله: ((ومن ذلك ما استطرفناه من كتاب السياري -واسمه أبو عبد الله صاحب موسى والرضا عليهما السلام)).

قال السياري: ((سمعته يقول: ليس العبادة كثرة الصيام والصلاة إنما العبادة التفكر في الله تبارك وتعالى))[42].

هذه الرواية ضعيفة سنداً بالسياري، حيث ضعّفه النجاشي والشيخ وابن الغضائري، ولم يُعرف بتوثيق ولامدح.

وفي مرسل البزنطي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته)[43].

ومنها: ماورواه البرقي في المحاسن بسنده عن الحسن الصيقل قال: (قلت لأبي عبد لله عليه السلام: تفكر ساعة خير من قيام ليلة؟. قال عليه السلام: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وأله: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. قلت كيف يتفكر؟ قال عليه السلام: يمّر بالدار الخربة، فيقول أين بانوك؟. أين ساكنوك؟. مالك لاتتكلمين)؟.[44] هذه الرواية لاربط لمضمونها بالتفكر في الله.

هاتان الروايتان -مضافاً إلى ضعف سندها- محمولتان على التفكر في خلق الله وآياته وآثار قدرته وعجايب صنعه. لما أمر الله بذلك في الكتاب المجيد ولام غير المتفكرين في ذلك[45]. أنتهى.

أقول: لايوجد تعارض لنحتاج إلى الجمع لأنّ مورد الأولى غير مورد الثانية حتى تعابير الطائفة الأولى وسياقاتها توحي بأنّ النهي عن التفكر في نفس الذات المقدسة وهي مما

(٤١) فرائد الأصول: ج١، ص٦٤.
(٤٢) السرائر: ج٣ ص٥٦٨.
(٤٣) الكافي: ج٢، ص٥٥، ح٣.
(٤٤) المحاسن: ج١، ص٢٦ ح٥.
(٤٥) البراهين الواضحة: ج١، ص ١٦٢ فما بعد، الشيخ علي أكبر السيفي المازندراني.

لاسبيل إليها فعبرت بـ ((إياك)) بخلاف الطائفة الثانية فلا يوجد مثل هذا السياق والتعبير، وموردها صفاته سبحانه، وقد أفاض من صفاته علينا، فالقدرة بالإنسان موجودة بتقديره وبقدر ما أفاض سبحانه عليه فكان التفكير فيها ممكناً بل مطلوباً للتخلق بأخلاق الله ورفض مضاداتها فإن التخلق بالعدل أفضى لرفض الظلم والتخلق بالرحمة أفضى لرفض القسوة وهكذا.

فالموردان مختلفان، وعليه لاتعارض ولتتعرف على الفرق هو يقول ليس كمثله شيء وأما صفاته فلها مثل ولكن تتميز صفاته عن صفات المخلوقين بأنه لا نقص فيها بل هي مطلقة كاملة بخلاف صفة المخلوق، كما لاموجب للبحث عن أصل وجوده لأن ذلك أمر فطري ((فطرة الله التي فطر الناس عليها)).

وأول مراتب إمكان البحث هو التوحيد لا أصل وجود الذات، ومن هنا تبدأ العقائد بالتوحيد ومنه تتفرع بقيتها.

وأما روايات التفكر ساعة خير من... الخ فالمراد منها كما يظهر بدواً هو إطلاق مجال التفكير للتعرف على الله أكثر، من خلال صفاته باعتبار أول الدين معرفته، ولا عبادة من دون معرفة وهذا واضح. ومنه يفهم أيضاً عدم وجود التعارض بين قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((من تفكر في ذات الله تزندق (زنديق)، وبين قول الصادق عليه السلام: ((التفكر في الله ساعة يعادل تسعين عاما)).

لأنّ قصد الأمير عليه السلام -كما عن بعض أهل المعرفة -لاتجعل لذات الله المقدسة مشخصاً أي أنه كيف هو؟. أو ماهو شكله لأنه سبحانه لايدرك حتى سيد الكائنات صلى الله عليه وآله الذي وصل قاب قوسين أو أدنى من العلي الأعلى لم يرَ ذات الله المقدسة وعندما كلّمه الله تعالى كلمه بلسان علي عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله عندما كلّمني الله تعالى كلّمني بصوت علي بن أبي طالب عليه السلام -لأنه يعلم أن أحب الأصوات عندي هو صوت علي عليه السلام، وكذلك قال الإمام علي عليه السلام أنا لسان الله الناطق.

أما مايتعلق برواية الصادق عليه السلام، يقصد التفكر في فعل الله تعالى وليس ذاته المقدسة.

وأما ما هو فعله تعالى؟. وكيفية التفكر؟. فهذا بحثه يطول ويخرجنا عن المقصود.

والنتيجة:

١. إن كل بحث معرفي ثمرته العمل ولا قيمة لأي بحث معرفي لا يترتب عليه عمل؛ لذلك نهى أهل البيت عليهم السلام عن البحث في ذات الله؛ لأنك عملاً لا يمكن أن تكون إلهاً فإذا فقد كونيته المعرفية فلا ترتب عملي له. عن الباقر عليه السلام: ((إن الله لا يقبل عملاً بلا معرفة ولا يقبل معرفة بلا عمل أن الإيمان بعضه من بعض)).

وبهذا ننتهي في البحث في هذه المسألة المهمة والخطيرة -والتي لم تأخذ موقعها واستحقاقها في البحوث القرآنية وما زالت من البحوث البكّر التي تحتاج الى مزيد بحث واستقصاء لأنها من الركائز والدعائم العقدية والمعرفية في القرآن -الى أننا لم نوافق السيد العلامة الطباطبائي قدس سره بإعتبار النهي نهياً إرشادياً متعلقاً بالعقول القاصرة؛ وكذلك لم نوافق المشهور على القول بالإرشادية ولكن بشكل أوسع مما تبناه السيد العلامة؛ وكان اختيارنا هو النهي المولوي النفسي والله أعلم.

٢. من المسائل التي شُنع بها على السيد الطباطبائي قدس سره هو ما يترآى من بعض كلماته تفضيله السيدة مريم عليها السلام على السيدة الزهراء عليها السلام والذي هو خلاف ما تعتقد به الامامية.

ونأتي على ذكر كلامه قدس سره فهل ما ذكره هؤلاء الأعلام من التشنيع على السيد الطباطبائي له محل من الإعراب أم لا؟. وهل يوجد تهافت فيما ذكره قدس سره أم لا؟.

حيث ذكر في ج٣ ص ١٨٩ من تفسير الميزان: ((وأما ما قيل عنها أنها مصطفاة على نساء عالمها فإطلاق الآية يدفعه)).

وقال في ص ٣١٥: ((ومما ينبغي أن يتنبه له أنّ الواقع في الآية هو الإصطفاء وقد مرّ أنه الاختيار والذي وقع في الأخبار هو السيادة، وبينهما فرق في المعنى فالثاني من مراتب كمال الأول)).

بينما نجده في ج١٨ ص١٦٥ يقول في تفسير الآية ١٦/ الجاثية، قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ((إن كان المراد جميع العالمين فقد فضلوا من جهات ككثرة الأنبياء المبعوثين

والمعجزات الكثيرة الظاهرة من أنبيائهم، وإن كان المراد عالمي زمانهم فقد فضلوا من جميع الجهات)) ألا يوجد تهافت في كلامه قدس سره؟.

وكيف نخرج عن الإطلاق في تفضيل السيدة مريم على نساء العالمين ولا يوجد تقييد من داخل الآية ولا خارجها إلّا الروايات الشريفة في تفضيل السيدة الزهراء عليها السلام وأن أفضلية مريم خاص بزمانها فكيف نجيب السيد الطباطبائي وهو ملتزم بمنهج تفسير القرآن بالقرآن؟.

وقد وضعت هذه التساؤلات بين يديّ سيدنا الاستاذ الفقيه علي السبزواري (حفظه الله) فأجابني: ((إن الآية الكريمة لاإطلاق لها بحسب القرائن التي تحيط بها فقد اصطفاها لحمل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام وكلمته المباركة من غير أب وعلى فرض الإطلاق فإنه مقيد بالروايات المعتبرة الدالة على أن فاطمة الزهراء عليها السلام قد فضلّت على جميع نساء العالمين ولو كان قدس سره قد أنعم النظر في الآيات لتنبّه إلى ذلك ولم يخرج عن المنهج القرآني الذي يتبعه والله العالم))[٤٦].

أقول: إن المتأمل في بيان السيد العلّامة الطباطبائي قدس سره يجد أن الإطلاق الذي ذكره هو إطلاق جهتي لا مطلقا ومن جميع الجهات، وإليك نص عبارته: ((وهل هذا التقديم تقديم من جميع الجهات أو من بعضها؟. ظاهر قوله تعالى فيما بعد الآية: إذ قالت الملائكه يامريم إن الله يبشرك الآية، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[سورة الأنبياء: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾[سورة التحريم: ١٢]؛ حيث لم تشتمل مما تختص بها من بين النساء إلا على شأنها العجيب في ولادة المسيح عليه السلام إن هذا هو وجه اصطفائها وتقديمها على النساء من العالمين.

وأما ما اشتملت عليه الأيات في قصتها من التطهير والتصديق بكلمات الله وكتبه،

(٤٦) بتاريخ ١٦/ ج٢/ ١٤٣٨ هـ.

والقنوت وكونها محدثة في أمور لاتختص بها بل يوجد في غيرها، وأما ما قيل: إنها مصطفاة على نساء عالمي عصرها فإطلاق الآية يدفعه. انتهى.

وعليه: فإنه لايوجد تهافت -كما زعمه البعض -في كلامه قدس سره لإنّ الإطلاق في التفضيل للسيدة مريم ليس هو السيادة التي هي أفضل من الاختيار لأنه من مراتب كمالها، فأنّ سيدة نساء العالمين، بما فيهم مريم عليها السلام تعتبر الزهراء سيدتها وهذا واضح من كلامه قدس سره بما قدمه من الفرق بين السيادة والاصطفاء.

أو يقال: بأنّ تفضيل مريم على نساء العالمين ليس هو من تمام الحيثيات بل من بعضها ولو من جهة لم تكن للزهراء هذه الحيثية وهي حيثية الإنجاب من دون زوج فهذا امتياز لمريم عليها السلام دون الزهراء وإما من سائر الجهات التفضيلية الأُخرى فهو امتياز للزهراء عليها السلام وكانت أفضل منها. مع أن الإنجاب من دون زوج قد يقال أنه أمر غير اختياري وإرادي بقدر ماهو تفضيل من الله سبحانه دون غيره، ولو كان يدور مدار الاختيار لكانت الزهراء لها التقدم عليها كيف وهي سيدة نساء العالمين بما فيهم مريم عليها السلام.

والسيد الطباطبائي قدس سره يتحدث في إطار البحث القرآني دون حشر الروايات معه، فكان كلامه مقتصراً في إطار النص القرآني فقط لاهو والنص الروائي.

٣. ذكر في الجزء (١٥، ص١٤١) بعدما نقل رواية الصدوق التي تُفسّر آية النور إن هذا المثل خاص بأهل البيت عليهم السلام: ((أقول: الرواية من قبيل الإشارة إلى بعض المصاديق وهو أفضل المصاديق وهو النبي صلى الله عليه وآله والطاهرون من أهل بيته عليهم السلام وإلاّ فإنّ الآية تعم بظاهرها غيرهم من الأنبياء عليهم السلام والأوصياء والأولياء)) ثم يقول إنّ هذه الروايات من التطبيق دون التفسير. والإشكال الذي عرضه بعضهم أنّ ما قال يخالف عقيدتنا وما ورد عن أئمتنا عليهم السلام من أنّ آية النور خاصة بالنبي وأهل بيته عليه وعليهم السلام.

وأيضاً عرضت هذا الإشكال على سماحة سيدنا الأستاذ الفقيه علي السبزواري (حفظه الله) فقال: ((ما ذكره صحيح فإن الآيات الكريمة ومنها آية النور كليات لها أفراد ومصاديق كثيرة فيكـــون تطبيقها على الأئمة الطاهرين عليهم السلام من باب الجري وأظهر المصاديق وأجلاها

وهذا هو شأن الكتاب الإلهي الذي اتصف بالتجريد والشفافية إلا مادلّ دليل خاص على خلاف ذلك والله العالم))[٤٧].

أقول: وإن كان منهجنا في التفسير خلاف المنهج الذي سار عليه السيد الطباطبائي قدس سره وأننا نذهب إلى أعمق مما ذهب إليه من قاعدة الجري والتطبيق؛ ولكن لا ضير باعتبارهم (سلام الله عليهم) أفضل المصاديق بالنسبة لغيرهم وهذه الأفضلية تجعلهم في خصوصية من هذه الناحية، فتكون الآية خاصة بهم، وإما لو لوحظ انكشاف الأشياء بالنور بغض النظر عن الأفضلية فالآية تعم غيرهم من الأنبياء عليهم السلام.

إذ لامناقشة في أفضلية أهل البيت على سائر الأنبياء عليهم السلام إلا أن هـذا لايعنـي أنّ بقية الأنبياء ليسوا نور الله، ولكن لا بدرجة نور أهل البيت وبهذا ينحل الإشكال.

والبحث الروائي يؤيد شمول غيرهم بمصداقية النور، وكلام السيد الطباطبائي في حدود هذه الآية، وربما آيات أُخر لاتأتي، كمصداقية التصدق بالخاتم في الصلاة وتقديم صدقة عند مناجاة الرسول صلى الله عليه وآله وغيرهم فلم يجعلها قاعدة للسريان.

٤. وأيضاً يذهب قدس سره إلى أنّ سورة القدر ربما مدنية في قوله: ((والسورة تحتمل المكية والمدنية ولا يخلو بعض ماروي في سبب نزولها...)) ج٢٠ ص٣٣٠، ولايورد رواية بخصوص الزهراء فيها؟.

وقوله في تفسير سورة التين ج٢٠ ص٣٢٢ فأنه يُعلق على رواية تفسير القمي ويقول ((لايخلو من شيء... وليس من التفسير في شيء..)) فلماذا يتجنب قدس سره الإشارة لأهل البيت عليهم السلام ورواياتهم؟. وقد أجاب بعض الأعلام المعاصرين (حفظه الله) بما نصه: ((له قدس سره مخالفات عديدة مع الطائفة الحقة في البحث الروائي ويمكن الاعتذار له بأنه وإن أتعب نفسه في الحكمة والكلام ولكنه ابتعد عن روايات أهل البيت عليهم السلام.

وأضاف: (بأنّ منهجه تفسير القرآن بالقرآن وهو منهج قاصر ما لم يتم بالسنة الشريفة والله العالم).

(٤٧) بتاريخ ١٦/ ج٢، ١٤٨٣.

أقول: إنّ ماذكره هذا الأستاذ المرجع (حفظه الله) حول عدم تمامية المنهج الذي يكتفي بتفسير القرآن بالقرآن دون الإستعانة بالسنة المطهرة صحيح ولا غبار عليه.

وأما مايتعلق بأصل الإشكال ففيه: احتمال كون السورة مدنية أو مكية، ربما لإختلاف مناط التقسيم عندهم للسور بين المدنية والمكية، فهل هوالمكان وإن كان زمان نزولها بعد الهجرة أو الزمان، وإن نزلت في مكان بعد هذا الزمان كما إن السورة لا إشارة فيها إلى مافيه نَفَس كون السورة مدنية، من التطويل وأحكام تشريعية أو مكية فيها تصور واعتقاد بالإيمان بالله واليوم الآخر، وهو أيدّ كونها مدنية. وأما عدم ذكره رواية بخصوص الزهراء عليها السلام لأنّ ذكرها يعني المصداق والتطبيق -بحسب منهجه -والتفسير يقوم على مفهوم الآية وتفسيرها فلعله لم يجد ما يناسب ذكرها (سلام الله عليها) لا لشيء آخر وهو يكرر عبارة هذا من التطبيق لا من التفسير في موارد عديدة من تفسيره. ومن البيّن هولا ينفي التطبيق والمصداق ولكنه ليس بتفسير.

٥. ينفي كون النبي صلى الله عليه وآله يقرأ ويكتب قال ((والمعنى: وما كان من عادتك قبل نزول القرآن أن تقرأ كتاباً ولا كان من عادتك أن تخط كتاباً وتكتبه أي ماكنت تحسن القراءة والكتابة لكونك أمياً...)) ج١٦ ص١٣٩.

ألا يخالف هذا قول الإمام الرضا عليه السلام بأنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يقرأ ويكتب؟.

وأيضاً إنه قدس سره لم يُشر إلى هذه الرواية في بحثه الروائي؟.

أجابني سيدنا الإستاذ السبزواري (حفظه الله): ((بحث كون النبي صلى الله عليه وآله أُمياً لا يقرأ ولايكتب موضع نقاش قديماً وحديثاً عند علماء الفريقين والحق أن يُقال إنه ليس المراد من لفظ الأُمي من لايقرأ ولا يكتب فإن هذا المعنى حادث عن علماء اللغة وذكره اللغويون وهو غير صحيح بل المراد من الأمي أي: من أُمة لم ينزل عليهم كتاب من قبل فإن العرب لم يكونوا مثل اليهود والنصارى عندهم كتاب وكانوا يفتخرون بذلك ويتبجحون على العرب ويوصفونهم بالأميين كما في آيات أخرى، وبعد أن أنزل الله تعالى القرآن على النبي صاروا من أهل الكتاب، فالمراد بالأمي هذا المعنى والله

العالم))[٤٨].

أقول: المعنى أن النبيﷺ لـم يكـن معتاداً عند العرب بأنـه يقرأ ويكتـب فالنفـي للعـادة وليس للقراءة والكتابة، وكلام السيد الطباطبائي واضح في قوله ((وما كان من عادتك...)) ومن الواضح أنّ نفي أنْ يكون معتاداً عندهم بالقراءة والكتابة غير نفي نفس القراءة والكتابة. وبهذا لا تنافي الآية الرواية عن الرضاعليه السلام وأنه يقرأ ويكتب واقعاً لكن لم يظهر منه ذلك ولا مارس في حياته لتلزم الحجة الكافرين وإن القرآن ليس من عندك وإنما هو من عند الله، لأنّ اعتياده عندهم بالكتابة والقراءة يجعل احتمال أنه من إملائه أو ملقن من غيره وارد فتدبر.

(٤٨) بتاريخ ١٦/ ج٢ ١٤٣٨.